صدام وحوار الحضارات في الفضاء المتوسطي

Clash and dialogue of civilizations in the mediterranean space

لعرباوي نصير*
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2-الجزائر
n.larbaoui@univ-setif2.dz

تاريخ الارسال:2021/05/10 تاريخ القبول:2022/04/23 تاريخ النشر:2022/06/15

ملخص:

تعتبر منطقة البحر الأبيض المتوسط من المناطق الحيوية في العالم، فهي تتوسط العالم وتزخر بثروات باطنية كبيرة، وتعتبر مهبطا للديانات السماوية الثلاث(الإسلام، المسيحية واليهودية)، وظهرت على ضفافها حضارات مختلفة، الأمر الذي جعل منها منطقة مليئة بالصراعات الحضارية والدينية من جهة، ومن جهة أخرى منطقة إشعاع حضاري وثقافي مبني على الحوار والتعاون واحترام خصوصية الآخرين. وتهدف الدراسة أساسا للوقوف على حقيقة وواقع فكرتي صدام وحوار الحضارات في حوض المتوسط، ومن النتائج المتوصل إليها أنه وبالرغم من أن الصراع هو السمة البارزة في المنطقة، إلا أن فكرة حوار الحضارات هي الأصلح في فضاء لديه من القواسم المشتركة ما يجمعه أكثر مما يفرقه.

الكلمات المفتاحية: الصدام. الحوا. صدام الحضارات. حوار الحضارات. الفضاء المتوسطي.

Abstract:

The region of the Mediterranean basin has been the cradle of many civilizations such as Islam ،Judaism and Christianity ،it is located in the center of the world and is almost entirely enclosed ،bordered by the coasts of Southern Europe ،North Africa and Western Asia ،a fact which makes it a vital region by excellency ،this cultural richness has made it at the same time a region of science and knowledge and also a region full of civilizational and cultural conflicts. This study aims to analyze the reality of civilizational conflict in the Mediterranean region ،and among the results of this study recognizes ، despite the real existence of this conflict ،the dialogue between the different civilizations remains the best means as long as there are in this space more common values than conflicting ones.

Keywords: clash .dialogue .clash of civilizations. dialogue of civilizations. mediterranean space.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

يحظى حوض البحر الأبيض المتوسط بأهمية حضارية وجيوسياسية كبيرة جعلت منه محل أطماع القوى الكبرى ومسرحا للحروب والصراعات، كالصراع بين دول المحور سابقا(ألمانيا وايطاليا) وبين الحلفاء في الحربين العالميتين، وبين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي أثناء الحرب الباردة، وأضحى اليوم مسرحا للتنافس الأمريكي–الأوروبي على المنطقة، وفضاء للحوار والتعاون الذي يسعى الإتحاد الأوروبي لإقامته مع دول الضفة الجنوبية، فالأهمية الحضارية للبحر الأبيض المتوسط جعلت منه مهدا للديانات السماوية الثلاث (الإسلام المسيحية، اليهودية) ومركز إشعاع علمي وثقافي منذ القدم، مما أدخل شعوب المنطقة في صراعات وحروب كما أدخلها في عمليات تقارب وتعاون.

وعلى هذا الأساس تمحورت **إشكالية** دراستنا في **السؤال الرئيسي** التالي: **ما واقع أطروحتي صدام وحوار الحضارات في الفضاء المتوسطي ؟**

وتهدف الدراسة إلى إبراز الدور الذي يمكن أن تلعبه أطروحتي صدام وحوار الحضارات في تصادم وتصارع شعوب منطقة البحر الأبيض المتوسط، أو العمل على تقريب وجهات النظر ونشر الحوار والتفاهم المبني على الاحترام المتبادل لخصوصيات الآخر ونبذ كل أشكال العنف والكراهية .

منظور الدراسة: يمكن تحليل وتفسير الدراسة وفقا **للمقاربة البنائية** التي تعنى بالتحليل الاجتماعي القائم على فكرة صراع الهويات، فالصراع الحضاري يتم تفسيره من خلال البنائية بأنه ليس صراعا بين الدول وإنما هو صراع هويات مجتمعية، يتم فيها تصدير الهوية إلى مجتمعات أخرى، فالولايات المتحدة الأمريكية استطاعت تصدير هويتها لعدة مناطق في العالم، مما يفسر أن صراع الأفكار والهويات المجتمعية أو ما يعرف بالبنى المعيارية هو السمة البارزة للصراع في مرحلة ما بعد الحرب الباردة،[1]وهذا ما ينطبق على منطقة البحر المتوسط.

كما تم الاعتماد على **المنهج الوصفي التحليلي** في الموضوع محل الدراسة لأنه يتلاءم معه، كما أنه يساعد على **تحقيق الأهداف** المسطرة له من خلال التطرق لكل من أطروحتي صدام وحوار الحضارات في الفضاء المتوسطي وتبيان الآثار الناجمة عن كل أطروحة على شعوب المنطقة .

وللإجابة على الإشكالية المطروحة والإحاطة أكثر بالموضوع محل الدراسة ارتأينا الاعتماد على العناصر التالية:

- أهمية حوض البحر الأبيض المتوسط
- أسباب بروز المتغير الديني والحضاري بعد الحرب الباردة
- المنطلقات الفكرية لصراع الحضارات بعد الحرب الباردة
- صدام الحضارات في الحوض المتوسطي
- المنطلقات الفكرية لحوار الحضارات

-حوار الحضارات في الحوض المتوسطي

1. أهمية حوض البحر الأبيض المتوسط:

1.1الأهمية الجيوسياسية والتاريخية لحوض البحر الأبيض المتوسط:

وتبرز الأهمية التي يتمتع بها البحر الأبيض المتوسط من الناحية الجيوسياسية من خلال كونه يتوسط ثلاث قارات: إفريقيا، أوروبا وأسيا، كما يشكل المعبر الأساسي للمواصلات البحرية بين المحيطات الثلاث: الأطلسي، الهادي والهندي.

فهذه الخصائص والمميزات الجغرافية للمنطقة، ميزت بالفعل مختلف سياسات الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وأثرت على علاقاتها البينية عبر مختلف العصور والأزمنة إلى يومنا هذا، فالموقع الجغرافي الذي تتواجد به المنطقة، يوحي بشساعة اليابسة فيه، ضف إلى ذلك طول السواحل البحرية التي قد تصل إلى حوالي 10011 ميلا بحريا إذا أخذنا في الحسبان جزيرتي مالطا وقبرص، إضافة إلى أنها منطقة تتميز بوجود قنوات بحرية ذات أهمية كبيرة في الجانب الجيو سياسي على غرار مضيق جبل طارق، قناة السويس، إضافة إلى المنافذ التركية (الدردنيل، البوسفور، مرمرة) حيث يشهد البحر يوميا مرور حوالي 4 مليون طن و2500 سفينة تجارية، وحوالي 500 سفينة صيد، يضاف إلى كل هذا تربعها على منفذين أساسين يربطان المنطقة بمختلف القارات الأخرى: مضيق جبل طارق وقناة السويس،[2]مما يجعلها منطقة حوية وجيوسياسية حقيقية ومحل أطماع القوى الكبرى في العالم.

2.1 الأهمية الحضارية والدينية لحوض البحر الأبيض المتوسط:

إن الأهمية الحضارية التي يحضا بها حوض البحر الأبيض المتوسط ليست وليدة اليوم وإنما هي وليدة عصور قديمة قدم التاريخ، ويمكن القول أن منطقة البحر الأبيض المتوسط تميزت بشهرة عالمية لم تحضا بها أية منطقة أخرى في العالم، حيث كانت مركزا للإشعاع الحضاري غرب العالمين الصيني والهندي، تتالت عدة حضارات كان لها تأثير قوي على التطور الإنساني في المنطقة، وقد كان الصراع للاستحواذ عليها دائما ومتواصلا، انطلاقا من التاريخ القديم، عندما كان يسيطر عليها قدماء المصريين(الحضارة الفرعونية) ثم جاءت بعدهم عدة حضارات توالت السيطرة على ضفاف هذا البحر، على غرار الحضارة الفينيقية، الحضارة الإغريقية وكذا الحضارة الرومانية ...إلى أن وصلت الفتوحات الإسلامية للمنطقة عبر هذا الحوض، وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلك الفتحات بلغت ذروتها بعد فتح القسطنطينية[3].

ومن هنا يمكن القول أن منطقة البحر الأبيض المتوسط منطقة ذات أهمية حضارية كبيرة توالت الحضارات المتعاقبة عليها، لكن في نهاية الأمر نجد حضارتين بارزتين لازال لهما تأثير ونفوذ كبيرين على المنطقة المتوسطية، من خلال (الدين، اللغة، العادات والتقاليد...)هاتان الحضارتان هما الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأوروبية المسيحية.[4]

وعلى مر العصور توالت الحملات الصليبية الرامية للسيطرة على الأراضي المقدسة مما جعلها تشكل إرهاصات مبكرة لصراع على النفوذ في المنطقة مازال امتداده إلى يومنا هذا، فمنطقة البحر الأبيض المتوسط هي مهبط للوحي وأرض الأنبياء[5]، ففيها أوحى الله لموسى عليه السلام بأرض سيناء، وفيها ولد المسيح عيسى عليه السلام بفلسطين وكانت أرض الحجاز شاهدة على ميلاد الرسالة المحمدية، ومنه يمكن القول أن الديانات الثلاث(الإسلام، المسيحية، اليهودية) ظهرت كلها في المنطقة الشرقية للبحر لأبيض المتوسط ومنها انتشرت عبر مختلف أنحاء العالم، الأمر الذي جعل هذه المنطقة أكثر من مجرد فضاء جغرافي، فهي تمثل مفترق طرق حضاري وتاريخي، يضم في طياته أكثر من 500 مليون نسمة.

2. أسباب بروز المتغير الديني والحضاري بعد الحرب الباردة:

إن من نتائج التنوع السياسي، الاقتصادي، الديني والحضاري التي تميزت به المنطقة عبر مختلف الحقبات التاريخية: علاقات صداميه قائمة على الغزو والاحتلال تارة وعلاقات حوار وتعاون قائمة على الاعتماد المتبادل والتجارة والمصالح المشتركة تارة أخرى.

كل هذه المؤشرات أدت إلى ظهور منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط كمنطقة في غاية من الأهمية، ليست فقط في الجانب الجيوسياسي، وإنما في الجوانب الاقتصادية، الأمنية، وحتى الحضارية، الأمر الذي جعل منها محل أطماع القوى الكبرى والاستعمارية عامة والقوى الأوروبية على وجه الخصوص خلال القرنين الماضيين، فالمنطقة تعد من اكبر المناطق التي عرفت بقاء وتجذرا للاستعمار حيث يقول عالم الجغرافيا الفرنسي "Yves Lacoste"هذا التوسع الاستعماري، قادته قوتين كبيرتين في العالم آنذاك: فرنسا وبريطانيا، فان كانت الأولى قد اتجهت نحو منطقة المغرب العربي، فالثانية اتجهت إلى المناطق الشرقية للمتوسط، وقد امتد هذا التواجد في فترة الخمسينات والستينيات من القرن الماضي، مما يفسر أن المنطقة هي منطقة صراع بامتياز.

كما كانت المنطقة أيضا ذات وزن كبير أثناء الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي والغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان المتوسط في هذه المرحلة مسرحا من مشاهد التصادم بين الشرق والغرب تحت قيادة موسكو وواشنطن، حيث عملت القوتان على الزج بأكبر عدد ممكن من الفاعلين المتوسطين في هذا الصراع، نظرا لأهمية المتوسط وكونه ممر اتصال مهم، ويشكل منطقة عبور لناقلات البترول ومنطقة التقاء مع العالم الإسلامي.

وحتى في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وبعد سقوط المعسكر الشرقي، حيث أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة المهيمنة في العالم وفي المتوسط وكل هذا من أجل بسط نفوذها وحماية مصالحها، حيث وجدت في الجانب الديني والحضاري مبررا كبيرا في فتح جبهة الصراع من جديد مع قوة تضاهي قوة الاتحاد السوفيتي سابق، ألا وهي الخطر الأخضر بدل الخطر الأحمر.[6]

لقد أدى انهيار الشيوعية في الإتحاد السوفيتي، وهو القطب الموازن طوال فترة الحرب الباردة إلى إحداث فراغ وإرباك إيديولوجي كبير، من خلال حرمان الغرب بقيادة الولايات المتحدة من (العدو)، ففكرة خلق العدو والصراع لها ما يبررها موضوعيا*. وتعتبر فكرة متجذرة في الفكر الواقعي الغربي عموما والأمريكي خصوصا.

أدى هذا الاهتمام المتزايد للولايات المتحدة الأمريكية بفكرة العدو إلى خلق تحد جديد واستجابة لمحاولة تجنب المجتمع الأمريكي حالة الانهيار وتراجع التأثير النسبي المتوقع لمكانتها في حال غياب عدو يساعد على تقوية اللحمة بين أفرادها.

ومن جانب آخر قطع الطريق لأي تفكير أوروبي في قطع صلاته بالولايات المتحدة الأمريكية ومحاولة الانفصال عنها، وذلك من خلال إيجاد مخاطر مشتركة جديدة تهدد الكيان الأوروبي والأمريكي معا تجعل أوروبا دائما بحاجة للمظلة الأمريكية،[7] ومن ثم تفادي تفكك حلف شمالي الأطلسي.

توافق هذا الطرح والاتجاه مع دوائر التخطيط الاستراتيجي في الولايات المتحدة الأمريكية، على حد تعبير الرئيس الأمريكي " ريتشارد نيكسون " بأن نهاية الأعداء القدامى غالبا ما يفضي إلى ولادة تحديات جديدة ربما كانت أخطر من سابقاتها لا إلى سلام وتعاون بين الأمم."[8] لذلك فإن مثل هذه التحديات تنطوي على حاجة الولايات المتحدة على إجراءات عسكرية في المستقبل، ومن ثم فليس بوسعها تخفيض ميزانياتها العسكرية.

يأتي حضور هذا الدافع القديم الجديد وبهذه الأهمية في حقبة فقد فيها الغرب عامة والولايات المتحدة على وجه الخصوص، مقومات ومبررات الصراع الشمولي بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وتراجع التهديد الذي أدى إلى تقليص الاستثمار والإنفاق في ميدان الصناعة العسكرية، مما خلق فجوة وتخبطا كبيرين في دوائر التخطيط الاستراتيجي الأمريكي.[9]

رافقت الدعوات التنظيرية الجديدة لمستقبل الصراع الدولي على أساس حضاري وديني مد أصولي* (صحوة دينية) أرضية ملائمة لإعادة تشكيل خطوط الصراع القادم، وقد أسهم في إعادة التفكيك والتركيب كل من العولمة والتطور العلمي والتكنولوجي، وتسويق العولمة وتغريب الفرد.[10] لكن تبقى الأهداف الحقيقية الكامنة هي المصالح والسعي لكسب المزيد من القوة والهيمنة والانفراد بإدارة شؤون العالم.

إن خصوصية العامل الحضاري والديني في حد ذاته تنسجم وتتلاءم مع رياح هذه المرحلة التي أعقبت الحرب الباردة، فالعدو الجديد لا يجب أن تقل قدرته وقوته عن العدو السابق (الإتحاد السوفيتي)، فإذا كانت الشيوعية تتسم بالعالمية، فالمطلوب البحث عن تحد تكون خصائصه العالمية والشمولية.[11] ويبدو أن الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة وجدت في الخطر الأصفر (الصين) وخطر الإسلام هذه المواصفات، لكن تم ترجيح الخطر الأخضر في هذه الفترة.

إن محاولة إحلال الإسلام محل الشيوعية لم يكن عبثا أو عملا عشوائيا حيث تمت المقارنة بينه وبين الحضارة الكنفوشيوسية وفقا لدراسات قام بها خبراء ومفكرون إستراتيجيون على غرار فرانسيس فوكوياما وصامويل هنتغتون، فالمقاربة التي تزعمها هذا الأخير وبعض مسئولي الحلف الأطلسي، تطرح فكرة غياب عدو يؤدي دور الفزاعة التي تؤدي إلى تماسك الغرب. وهو الأمر الذي سعى برنارد لويس إيجاده في كتابه " الإسلام والغرب ".[12] وعقدت من أجله ندوات وملتقيات عديدة.

3.المنطلقات الفكرية لصدام الحضارات بعد الحرب الباردة:

1.3 المقاربات النظرية المفسرة للصراع:

1.1.3المدخل السيكولوجي: وترتكز تفسيرات هذا المدخل في معالجة الظاهرة الصراعية بالربط بين غريزة حب التسلط والسيطرة وكذلك الدافع نحو الانتقام والتوسع وبين الطبيعة الإنسانية التي تميل إلى هكذا أشياء (نابوليون بونابارت، هتلر، ستالين...) وعلى حد تعبير سيجموند فرويد، فالصراعات الدولية تمثل الفرصة السانحة لإرضاء وإتباع مثل هذه الدوافع والنزاعات الكامنة داخل النفس البشرية،كما ذهب كينيث والتز إلى اعتبار أن الصراعات والحروب هي نتاج "مشاعر الأنانية والغباء الإنساني " من جانب ومن جانب آخر عن " سوء توجيه النزعات العدوانية "، ويضيف أيضا: " ماعدا ذلك من عوامل يعد ثانويا لا ينبغي النظر إليه إلا في ضوء الحقيقة السيكولوجية.[13]

2.1.3 المدخل الإيديولوجي: لقد شكل العامل الإيديولوجي خلال الحرب الباردة سلاحا رئيسيا للعدوان المباشر الذي يسعى إلى هدم المعتقدات المذهبية للمجتمعات الأخرى، أو النيل من تقاليدها أو استغلالها دعائيا ضدها أو لتعميق تبعيتها السياسية لقوى دولية خارجية معينة، ومن هنا يمكن القول أن المدخل الإيديولوجي استمد منطلقاته الفكرية من الإيديولوجية الماركسية باعتبار أن منهجها يعد منهاج الصراع ويهدف هذا المدخل إلى تبيان ظاهرة الصراع على الساحة الدولية من جهة كما يهدف إلى إثبات خطورة الصراع الإيديولوجي من جهة أخرى، فالحرب وكما يراها أنصار هذا المدخل تمثل ذروة التفاعل بين مختلف وحدات النظام الدولي (الصراع)، وأن الفهم الجيد لهذا الأخير لن يتحقق إلا من خلال التصنيف الطبقي لقواه وأطرافه من خلال تحديد علاقات القوى الطبقية بينها، ويذهب أنصار هذا المدخل إلى حد القول أن التناقض في الرؤى الإيديولوجية يصعب من درجة التعقل والتفاهم ومحاولة تسوية هذه الصراعات من خلال عملية المساومة، لأن كلا الطرفين يؤمن بعقيدته الإيديولوجية ويؤمن بمبدأ عدم المساومة وعدم القدرة على التنازل وخاصة في الجوانب المقدسة لأي مذهب من المذاهب.[14]

3.1.3 المدخل الديني والأخلاقي: حيث يفسر الأخلاقيون السلوكات الإنسانية، ومن ثم الصراعات الدولية على أساس معادلة (الخير والشر)، أي الصراع بين الإرادات الشريرة والإرادات الخيرة، وبالتالي فإن قضاءهم على الصراعات يكمن في القضاء على الإرادة الشريرة في الساحة العالمية حتى يسود الأمن والسلام بين الشعوب والأمم، وقد تم توظيف هذا التفسير (الأخلاقي) في عديد المناسبات لتبرير عدوانية الدول الغربية

على بعض الدول الأخرى في عديد المرات، مثلما فعل الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب والابن في الحرب على العراق، أفغانستان وكذا مع ليبيا وسوريا، ووصفهم بأنهم دول يمثلون محور الشر ويمثلون مصدرا لتمويل الإرهاب والجريمة المنظمة في العالم، ضف إلى ذلك تلك النتائج التي قدمها **برجينسكي** في كتابه " خارج حدود السيطرة أن تدني المستوى الأخلاقي والإنساني للأنظمة الشيوعية والفاشية (محور الشر)هي السبب في قتل ما يقارب 170 مليون شخص في مشارف القرن 20، [15] والبارز هنا أن برجينسكي يحمل هذه الأنظمة مسؤولية كل ما حدث وفي الوقت نفسه هو يبرئ الأنظمة الرأسمالية مما آلت إليه البشرية آنذاك.

4.1.3مدخل صراع الحضارات: إن تفسير الصراعات الدولية وفقا لمدخل صدام الحضارات أو صراع القيم والديانات ليس جديدا في الساحة الدولية وإنما يعتبر عاملا ومدخلا قديما أعيد إرجاعه للساحة الدولية وبقوة خاصة بعد الحرب الباردة، أين كان يعتقد بعض المفكرين الغربيين بأنه يمكن للبشرية أن تعيش في نظام دولي جديد متجانس في عقائده الإيديولوجية والسياسية وموحد في أسواقه المالية والتجارية، ويسوده الأمن والسلام والاستقرار، وفي ظل هذا التصور المليء بالتفاؤل بالعيش في عالم خال من الحروب والصراعات، يظهر كل من المفكرين الأمريكيين **فرانسيس فوكوياما وصامويل هانتنغتون**، اللذان يذهبان إلى أن العالم سيعرف صراعات في القرن الواحد والعشرين وسيكون أساسها عقائدي، ديني، قيمي وحضاري،[16] أي صراعات ينطبق عليها منطق اللعبة الصفرية (ما أربحه أنا فهو خسارة لك وما تربحه أنت فهو خسارة لي).

وعليه فتعقد ظاهرة الصراع الدولي في العلاقات الدولية يرجع إلى تعدد أبعادها واختلاف مسبباتها وحتى مصادرها، الأمر الذي أدى إلى تعدد مداخلها النظرية المفسرة لهذه الظاهرة:

هناك العديد ممن نظروا لدور العامل الثقافي والحضاري في العلاقات الدولية ونذكر على سبيل المثال **ابن خلدون** و**أنتوني توينبي**، لكننا سنحاول التركيز في هذه الدراسة على أهم المنطلقات الفكرية بعد فترة الحرب الباردة، وسنتناول على وجه الخصوص كل من فرانسيس فوكوياما وصامويل هنتغتون.

2.3.فرانسيس فوكوياما: حيث نشر هذا الكاتب فكرته حول استقرار التاريخ في مقالة عام 1989 تحت عنوان نهاية التاريخ والتي تحولت في ما بعد إلى كتاب نشر عام 1993، حيث تبلورت فكرته الرئيسية اعتمادا على عجز كافة التحديات الإيديولوجية أمام النموذج الرأسمالي الغربي، والمتمثل في الديمقراطية الليبرالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.[17] وهذا النموذج جاء مزامنا للطروحات الأمريكية في تدشين نظام عالمي جديد يقوم على مبدأ انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم، وجاء هذا الطرح لدعم هذه الزعامة ونفي كل محاولة لتغيير الوضع.

كما سعى المفكر فوكوياما لوضع حد لحركة التاريخ ونفي وجود دورات أخرى، بمعنى أن منحنى المجتمعات البشرية لن يبقى في تصاعد إلى ما لا نهاية، أي سيتوقف عند هذا النموذج الرأسمالي. وقد تنبأ فوكوياما بانشطار الصراعات الدولية والمجتمعات إلى قسمين رئيسيين: الأول ما يزال داخل حيز التاريخ

غارقا فيه (دول الجنوب)، والذي سيبقى يعاني من التخلف والفقر والتبعية، والصراعات الإيديولوجية والإثنية، وبين عالم قد تخطى حدود التاريخ وهو العالم الرأسمالي، المتفوق علميا، تكنولوجيا، اقتصاديا وحضاريا.[18] الأمر الذي يعني أن هناك فروقات واسعة بين العالمين، وأن هناك بعض النقاط التي يمكن أن يتلاقى فيها العالمان وهي (مشاكل الهجرة، الموارد الأولية...).

من خلال هذه الفكرة التي طرحها فوكوياما يتضح جليا ولاءه الكبير للنظام الرأسمالي والدولة الليبرالية واعتبارها الغاية الكبرى للنموذج الأمريكي، وهي دعوة مباشرة، صريحة وعلنية لتوجيه محركات التاريخ باتجاه واحد يتفق مع مبدأ عولمة العالم وأمركته على حد تعبير الكثيرين. كما يمثل هذا الطرح أيضا محاولة لإعادة رسم ملامح وشكل الصراعات القادمة في مجال العلاقات الدولية فهو يتفق كثيرا مع طرح "**هيجل**" القائل بأهمية الحرب لمنع تدهور المجتمعات وانهيارها، لا سيما عندما تتوقف عجلة التاريخ، ولتفادي الوقوع في فجوة أو فراغ ترافق تحول النظام الدولي من الثنائية إلى الأحادية، حاول فوكوياما بناء منظومة فكرية جديدة، قوامها المحافظة على الانتصار وفرض النموذج الغربي الديمقراطي وغلق رحم التاريخ.[19]

ويطرح فوكوياما الدين والقومية كأعداء جدد للرأسمالية في صراعها مع العالم الغارق في التاريخ (الجنوب)، حيث يقف هذا الأخير عائقا أمام انتشار القيم الرأسمالية وتعميمها، والتي تعتبر خيارا حتميا للأمم والشعوب [20] حيث لا يوجد أمامها خيارات سوى إتباع النموذج الأمريكي للخروج من عالم ما قبل التاريخ.

1.2.3الانتقادات الموجهة لفرانسيس فوكوياما:

تجدر الإشارة إلى أن أطروحة فرانسيس فوكوياما وجهت لها عديد الانتقادات التي نوجز منها:

إن زعم فوكوياما أن دول الجنوب تشكل عائقا وتحديا أساسيا للديمقراطية والقيم الغربية وبخاصة الدول الإسلامية أمر خاطئ، بدليل أن دولا من العالم الثالث والإسلامي سعت لقبول النموذج الغربي ونجحت في تخطي الخطوط الحمراء التي وضعها فوكوياما على غرار (تركيا، الهند، فنزولا، إندونيسيا...)[21].

يرى بعض الباحثين الأمريكيين "Ayan Adamz" أن الديمقراطية الليبرالية لم تصبح عالمية وتكون كذلك فهناك شعوب أخرى لها حضارات وقيم ونظم سياسية مختلفة، وما يبدو من نهاية التاريخ بعيد إلى حد كبير، كما يؤشر أيضا إلى فراغ روحي لمجتمعات استهلاكية لبرالية معاصرة [22] وهذا ما سوف يؤدي بدوره إلى إحياء ديني جديد تتبناه إيديولوجيات وحضارات مختلفة.

على حد تعبير **ألفن توفلر**، افترض فوكوياما أن انتصار الليبرالية ومحورية الفرد نتيجة نهائية لا سقوط لها، فإنه في الواقع لا مكان فيه للنهايات المطلقة، فقد أعلن **هيجل** عن نهاية التاريخ بقيام الدولة البروسية، وأعلن **ماركس** على نهاية التاريخ بعد سقوط الرأسمالية[23]، لكن خاب كل منهما ولم تتحقق نظريته.

3.3 صامويل هنتغتون: " الإمبراطوريات تنهض وتسقط، الحكومات تجيء وتذهب، الحضارات تبقى وتنجو من كل التقلبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الكبرى، وحتى الإيديولوجية يقول "**أرنولد توينبي**": الحضارة تشمل... ولا يشمل غيرها...الحضارة وحدة كلية ".[24]

الحضارات لها درجة معينة من التكامل، أجزاؤها تتحدد بعلاقاتها بالأجزاء الأخرى، فمن هذه الأرضية انطلق هنتغتون في طرحه الجديد "صدام الحضارات" الذي توافق مع العديد من دوائر الفكر الإستراتيجي الغربي عامة والأمريكي خاصة لا سيما في العقد الأخير من القرن 20، حيث سادت الفوضى واللا استقرار نتيجة الانهيار المفاجئ للقطب الشيوعي، حيث فقدت هذه الأوساط السبب التي كانت تحرك من خلاله المؤسسات العسكرية والإنفاق العسكري والأحلاف والتكتلات[25] ليس على المستوى الأمريكي فقط وإنما أوروبا والعالم الغربي أيضا.

فالصراع إذا وعلى حد تعبير هنتغتون في فترة ما بعد الحرب الباردة لن يكون إيديولوجيا ولا اقتصاديا بل سيكون ثقافيا، دينيا وحضاريا، وتتحدد الهوية الثقافية فيه بالتضاد والعداء والصراع مع الآخرين، وعلى هذا الأساس وجد هنتغتون في الحضارتين الإسلامية والغربية أرضا خصبة لتبرير أفكاره،[26] المبنية أساسا على فكرة الصراع والتصادم .

إن الحرمان من عدو أمر مروع يقول هنتغتون، ولتعريف النفس ودفعها يحتاج الناس إلى أعداء، فالكره والعداء أمران متجذران في النفس البشرية وهو ضروري وجوهري بالنسبة لأي صراع، وخصوصا في المجالات السياسية (الغاية تبرر الوسيلة). ومن الطبيعي أن لا يثق الناس في المختلفين عنهم أو مع من لديهم القدرة على إلحاق الضرر بهم.[27] واعتمادا على تغيير ميزان القوى بعد انتهاء الحرب الباردة يرى هنتغتون بروز حوالي 8 ثماني حضارات يمكنها أن تتنافس وتتدافع كما يمكنها أن تتصادم وتتصارع، لكن هذا الأخير يحصر الصراع في ثلاث حضارات يراها قوية ومتماسكة وهي الحضارة الغربية، الحضارة الكنفوشيوسية (الصينية) نظرا لقوتها الاقتصادية والعسكرية والحضارة الإسلامية نظرا لتماسكها الديني وانفجارها السكاني.[28]

ويرهص هنتغتون بالانتقال إلى حروب وصراعات حضارية تنقسم وتختلف فيما بينها وفق فروقاتها وانقساماتها الدينية، وهو بذلك يلتقي مع "مالرو" الذي كان قد أعلن قبله أن الأديان ستكون هي المحددات الطبيعية لعلاقات وصراعات القرن 21م.[29] ويحصر التنوع الثقافي والحضاري في الحضارات التالية:

الحضارة الصينية: وقد سماها هنتغتون في مقاله الشهير بالحضارة الكنفوشيوسية، اعتبارا أن المعتقدات الكنفوشيوسية هي العامل والمحرك الأساسي لهذه الحضارة، وهي حضارة تتجاوز حدود القطر الصيني وتشمل كافة الشعوب التي تعيش جنوب شرق آسيا والثقافات المرتبطة بها (فيتنام، كوريا...).

الحضارة اليابانية: ويعتبرها حضارة متميزة عن الحضارة الصينية ومتفرعة عنها، وربما يتعمد هنتغتون عدم ربطها بالحضارة الصينية لخدمة هدف استراتيجي.[30]

الحضارة الغربية: وتضم أوروبا وأمريكا والدول التي يسكنها أوروبيون كنيوزيلندا الجديدة وأستراليا ويركز على الخصوصية الكاثوليكية والبروتستانتية بشكل أخص في هذه الحضارة.

الحضارة الهندية: وتعتبر الهندوسية هي المكون الأساسي لها رغم وجود طائفة إسلامية كبيرة وأقليات أخرى أقل أهمية.[31]

الحضارة الأمريكية اللاتينية: ويعتبرها تتميز عن الحضارة الغربية كونها لم تتأثر بحركة الإصلاح ولم تمتزج فيها الثقافة الكاثوليكية بالثقافة البروتستانتية ولم تتأثر بحركة الإصلاح التي واجهت الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا وهي تضم كذلك ثقافات الأهالي الأصليين الذين لا يوجدون في أوروبا وأبيدوا نهائيا في أمريكا الشمالية.

الحضارة الأورثوذوسكية: وتضم روسيا ومختلف الدول السلافية، وتعتبر المذهب المسيحي الأورثوذوسكي المكون الجوهري لهذه الحضارة.

الحضارة الإفريقية: وتضم الجزء الذي يقع جنوب الصحراء الذي تمتزج فيه الثقافات القبلية والتأثيرات المسيحية مع إلغاء الشمال الإفريقي الإسلامي.[32]

الحضارة الإسلامية: وتضم حضارات فرعية مرتبطة كلها بالإسلام عربية وتركية وفارسية وماليزية.

ويختزل هنتغتون الصراع في ثلاث حضارات بارزة وهي الغربية والصينية والإسلامية، ثم يأتي ويقلص أطراف المعادلة إلى الحضارتين الغربية والإسلامية، هذه الأخيرة التي تعتبر المنافس الفكري الوحيد للغرب وذلك لأن الحضارة الإسلامية تتميز بتعبئة اجتماعية ودينية كبيرة، كما تتميز بانفجار سكاني كبير،[33] كما أن الإسلام مبني على يقين بأنه فوق الأسس التي يضعها البشر.

1.3.3الانتقادات الموجهة لصامويل هنتغتون: لقد تعرض هنتغتون لمجموعة من الانتقادات ونذكر منها مايلي:

إن خطاب صدام الحضارات ليس وليد نهاية الحرب الباردة، فله جذوره في كتابات المفكرين، وهو إحدى دعائم الإستراتيجية الأمريكية، وكل ما قام به هنتغتون هو إعادة صياغة هذه الأفكار في قوالب جديدة من الصراعات وعمل على التنبؤ بحدوثها.[34]

عدم وضوح منهجية التصنيف لديه للحضارات (عدم اكتفائه بمعيار موحد)، فالحضارة الكنفوشيوسية نسبها إلى كنفوشيوس والحضارة اليابانية نسبة إلى البلد والحضارة الغربية نسبة إلى الغرب وهي منطقة جغرافية، والحضارة الهندية بلد، والسلافية الأرثودوسكية نسبة إلى عرق ودين معا، والحضارة اللاتينية والإفريقية نسبة إلى قارة، والحضارة الإسلامية نسبة إلى الدين الإسلامي الحنيف.[35] وبالرغم من أهمية الدين عنده إلا أنه لم يصنف الديانة اليهودية ولم يشر إلى حتمية الصراع بين الإسلام، اليهودية والمسيحية.

هناك من يذهب إلى حد القول أنه لا يوجد صراع حضاري في ظل العولمة الثقافية، فلا يوجد أي صراع من هذا النوع بين أمريكا واليابان وإنما هناك صراع اقتصادي تجاري، حتى ولو اتخذ مظهرا دينيا، كما أن الصراع الحقيقي هو صراع المصالح من أجل المزيد من السيطرة وتوسيع مناطق النفوذ.[36]

وعلى حد تعبير الدكتور عابد الجابري: " فالأمر الذي تجاهله هنتغتون وأهمله هو أن الأديان السماوية لا تصنع الحروب ولا تحرض عليها، وإنما استخدام الأديان من قبل رجال السياسة والمصالح هو الذي يخلق الصراعات والحروب،[37] كما يضيف أن الحضارة الإسلامية ليست عدوانية بطبعها وإنما هي حضارة سلام وحوار لا صدام وصراع.

4.صدام الحضارات في الحوض المتوسطي:

من هذا المنطلق يمكن القول أن منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط كانت ومازالت وستبقى مسرحا لمختلف الصراعات (العسكرية، الاقتصادية، الدينية والحضارية)، حيث يشهد التاريخ أنها منطقة حيوية وإستراتيجية، فهي تتوسط قارات العالم، ضف إلى ذلك كونها منطقة غنية بالموارد الأولية (بترول، غاز...)، هذه الأخيرة التي تعتبر من الأسباب الرئيسية للصراعات والحروب، ومما لا شك فيه أن الدول الواقعة جنوب المتوسط وبالرغم من كونها دول ضعيفة مقارنة مع شمال أوروبا إلا أنها تزخر بمثل هذه الثروات الطبيعية، الأمر الذي جعل منها محل أطماع الدول في السابق (الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الباردة) ومحل أطماع اليوم من خلال عديد المشاريع التي ظاهرها شراكة وتعاون وتكامل وباطنها استعمار واستغلال وتبعية على غرار (الشراكة الأورو متوسطية، الحوار العربي الأوروبي، سياسة الجوار الأوروبية، الإتحاد من أجل المتوسط...)، وستبقى محل أطماع في المستقبل.

وإذا أردنا تجسيد أطروحة صدام الحضارات على منطقة البحر الأبيض المتوسط، فيمكن القول أن المواجهات بين ضفتي المتوسط يمكن إرجاعها إلى الحضارتين اليهودية والمسيحية في الشمال والإسلامية في الجنوب، وهو ما أشار إليه عالم المتوسط "**بروديل** " حيث طرح فكرة الحضارة كخط فاصل يسمح بفهم الواقع في البحر الأبيض المتوسط وحتى الواقع الدولي، فهو يعتقد أن في المتوسط ثلاث مجموعات ثقافية حضارية،[38] تتدافع فيما بينها عبر التاريخ (المسيحية، اليهودية، الإسلامية) وهذه الثلاثية تمثل معادلة الأعداء المتكاملين ويمكن حصر هذه المجموعات في المجموعتين الرئيسيتين الغربية والإسلامية .

كما أن استقرار ما يزيد عن 10 ملايين مسلم في أوروبا يطرح وبقوة مشكلة الاغتراب وعدم الانسجام والاندماج بين شعوبها الأصلية وهذه الشعوب القادمة من الجنوب، خاصة وأن هذه الشعوب تختلف مع بعضها البعض من حيث الديانة والمعتقد، مما يطرح مسألة الهوية بين شمال وجنوب المتوسط.

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن العالم الغربي عموما وأوروبا خصوصا عملت على تصوير الجنوب بأنه الإرهاب الذي يمكن أن يزعزع استقرار أوروبا، خاصة إذا تم تسييس الجاليات المسلمة في أوروبا من قبل بعض الجماعات الإسلامية المتشددة، ومن ثم لابد من مواجهة هذا المد الأصولي القادم من الجنوب ومحاولة إيقاف زحفه نحو أوروبا، وكل هذا يتم في إطار ما يعرف بأطروحة صدام الحضارات لصامويل هنتغتون، وقد استعانت في ذلك بوسائل الإعلام لرسم صور نمطية مغلوطة عن الإسلام والمسلمين مستغلة في ذلك بعض التصرفات الخاطئة للمسلمين في حد ذاتهم.

1.4الصور المغلوطة للإسلام والمسلمين في العالم الغربي:

وقد لخص أحد الباحثين هذه الملامح المشوهة للإسلام والمسلمين فيما يلي:

-إظهار المسلمين في صورة المتناقضين دينيا مع الغرب، فهم غير مسيحيين ومتطرفون ويناهضون الصليبيين.

-إظهارهم في صورة أبطال الروايات الغرامية لألف ليلة وليلة والذين لا يهمهم إلا الخمر والموبقات.

-إظهارهم أنهم مصدر للعنف والإرهاب في العالم وتصويرهم بأنهم العدو الجديد أو ما يعرف بالخطر الأخضر بعد زوال الخطر الأحمر(الشيوعي).[39]

-إظهارهم بأنهم ابتزازيون ويسيطرون على منابع النفط في العالم، ويحاولون قطع الشريان الاقتصادي للدول الغربية عامة والولايات المتحدة على وجه الخصوص، أما الإسلام فقد تم وصفه بأنه:

-الدين الإسلامي دين جامد وبدائي وغير منطقي ولا يملك مقومات الحضارة مقارنة مع الحضارة الغربية.

-دين عنف وإرهاب ويحرض على الجهاد والحروب ويرفض التعايش السلمي مع الشعوب[40]

وما يمكن تأكيده هو أن ظاهرة تشويه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية قد اشترك في صنعها والترويج لها مجموعة من الوسائل والفنون الإعلامية من خبر، حوار، كاريكاتير، إعلان، مسلسلات...[41] وامتد ذلك إلى قطاعات أخرى كالمؤسسات التعليمية، ومراكز البحوث، ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد فقط فقد امتد الوضع ليطال **كبار المسؤولين السياسيين الإعلاميين في العالم** وفيما يلي عرض لبعض المقتطفات من تصريحات هؤلاء:

في عام 1985 قال الرئيس الأمريكي "نيكسون" بعد تولي غورباتشوف السلطة في الاتحاد السوفياتي سابقا: يجب على روسيا وأمريكا أن تعقدا تعاونا حاسما لضرب الأصولية الإسلامية.

وعام 1990 صرح وزير الخارجية الأمريكية "هنري كسنجر" قائلا إن الجبهة الجديدة التي يجب على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتباره العدو الجديد للغرب."

وقد صرح الرئيس الأمريكي "نيكسون" بقوله أن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين دار السلام ودار الحرب، حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية، وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وعلى الغرب أن يتحد مع الاتحاد السوفيتي ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة.[42] وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1989 صرحت رئيسة الوزراء البريطانية" مارغريت تاتشر" في كلمة أمام الحلف الأطلسي " بأن العدو القادم هو الخطر (الأخضر) كناية عن الإسلام، بعد أن تم القضاء على الخطر الأحمر.

وقال المسؤول الفرنسي عن الهجرة" جاك كلوك بارو: "أن الإسلام هو الخطر على مستقبل الغرب"

وقد برر الرئيس الفرنسي" فرانسوا ميتران" مساعدته للرئيس العراقي "صدام حسين" في حربه ضد إيران فقال:" كنا نساعده لأنه يحارب الأصولية في إيران، والتي تمثل تهديدا أكبر لمصالحنا: "و بعد ذلك تحول صدام

ذاته إلى مهدد للمصالح الغربية في منطقة الشرق الأوسط.43 كما صرح القائد العام للقوات المسلحة الألمانية "كلاوس نيومان" وهو يحذر من أن الخطر الأخضر قد حل محل الخطر الأحمر، وأن هلاله يمتد بين المغرب وباكستان ويشكل تحديا إيديولوجيا للغرب. وقد صرح الرئيس الأمريكي"بوش الابن " بأنها الحرب الصليبية الأولى في القرن الحادي والعشرين والتي سرعان ما تراجع عنها قائلا بأنها سقطت منه سهوا وكذلك تصريح رئيس الوزراء الايطالي"برلسكوني" الذي أكد عداءه للإسلام والمسلمين وطالب بمحاربة المسلمين، وقد سار "طوني بلير" في نفس الطريق عندما قرر إبادة العالم الإسلامي وجره إلى حالة من الرعب تفوق الحروب كلها.44 كما تجدر الإشارة إلى الخطاب الذي تبناه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب فور وصوله إلى السلطة عام 2017، حيث أكد هذا الأخير على مقولة: "أمريكا أولا"، مما يفسر الدور الذي تلعبه الإثنية والعرق والتمييز بين الأجناس وثقافاتهم في تفسير السياسة الخارجية للدول الغربية عموما والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، وهذا ما دفع بعديد المفكرين للبحث عن مقاربات نظرية تفسر هذه السياسات، ومن بين هذه المقاربات تم استحضار نظرية صدام الحضارات، 45وأعيد النقاش حول قدرتها في تفسير الأحداث والوقائع الدولية اليوم.

إن ما يمكن أن يستخلص من هذا الكم الهائل من التصريحات الرسمية للحكام الغربيين أنهم ليسوا فقط بصدد الجهر بعدائهم للإسلام والمسلمين وإنما بصدد التحالف والتآمر من أجل القضاء عليه وقد زادت هذه الحملة شراسة وخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وأصبحت أكثر تطاولا على الإسلام والمسلمين.

2.4 الخوف من الإسلام وتصاعد اليمين المتطرف في أوروبا:

لعبت أحداث 11 سبتمبر 2001، وصعود اليمين المتطرف في أوروبا دورا كبيرا في الخوف من تنامي وتصاعد المد الإسلامي في العالم الغربي عموما والأوروبي على وجه الخصوص، مما خلق ذعرا وخوفا شديدا من كل ما له صلة بالإسلام والمسلمين.

فموقف الغرب السلبي من المهاجرين المسلمين في أوروبا يعود لثلاث أسباب رئيسية أولها: الاختلاف العرقي، والعداء المتصاعد للمسلمين، وهذا يعود أساسا لرفض مجموعات معينة تقبل حقيقة أن مختلف بلدان أوروبا الغربية أصبحت دول هجرة، ومن ثم تخشى أن تفقد الإطار الثقافي في ظل التعددية الثقافية التي تتفاعل داخلها.

والسبب الثاني لتدهور الموقف الغربي من المسلمين يعود أساسا لتزايد عدد المسلمين مقابل معتنقي المسيحية واليهودية، وهذا ما يزيد من مخاوف الغرب مما بات يصطلح عليه الإسلاموفوبيا[46]، أما السبب الثالث[47] فيعود للدور الكبير الذي لعبته وسائل الإعلام الغربية في تشويه صورة الإسلام والمسلمين .

ضف إلى ذلك تنامي وتصاعد اليمين المتطرف في العالم الغربي عموما وأوروبا على وجه الخصوص، حيث نشر تقرير للمجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية في 5مارس 2020[48]،مفاده أن الأحزاب

اليمينية المتطرفة لكل من فرنسا، ألمانيا، إيطاليا وكذا إسبانيا، طالبوا من حكوماتهم فرض ضوابط صارمة على الحدود وتضييق الخناق على المهاجرين واللاجئين ذوي الأصول العربية والإسلامية الذين باتوا يهددون أمن واستقرار القارة الأوروبية في عقر دارها [49]، مستغلين في ذلك مختلف وسائل الإعلام الحديثة وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي، ذات الانتشار الواسع والسريع في آن واحد.

وفي الجهة المقابلة يجب التنويه بتلك النظرة المتشددة التي يحملها المتشددون والمتعصبون من العالم الإسلامي، اللذين يرفضون كل ما له صلة بالعالم الغربي عموما والحضارة الغربية على وجه الخصوص، ومبررهم في ذلك أن ما خلفه الاستعمار العسكري يجني ثماره الاستعمار الثقافي والحضاري، فهذا التيار يرفض كل أشكال العولمة، ويسعى جاهدا لمحاربة كل أشكال التغريب، ويدعوا بشكل صريح ومباشر لمحاربة كل ما له صلة بالحضارة الغربية من قريب أو من بعيد، وما الأعمال الإرهابية ووالعمليات الفدائية المنفذة من بعض المتشددين ضد المصالح الغربية لخير دليل على ذلك[50]، الأمر الذي ساهم في توسيع الهوة بين العالم الغربي والإسلامي، وغذى مبادئ العنف والعنصرية وأدى إلى تغليب منطق التصادم بين الطرفين.

5.المنطلقات الفكرية لحوار الحضارات:

1.5المقاربات النظرية المفسرة للحوار:

1.1.5 العمل المشترك: ويعني توافق مجموعة من الإرادات (إرادات الدول) للقيام بنشاط ما، ويمكن لهذا النشاط أن يعمل على تلاقي وتفاهم وتشاور الإرادات، والتي لا يمكن حصر نشاطاتها في الجانب الاقتصادي فقط، حيث يمكن أن يتعدى ذلك إلى نشاطات أخرى (سياسية، أمنية، اجتماعية، ثقافية...)، وكل هذا من أجل تحقيق أهداف ومصالح مشتركة.

2.1.5التعاون: التعاون لغة يعني التعاضد والتآزر، وهي سياسة مساعدة اقتصادية، تقنية ومالية لبعض الدول السائرة في طريق النمو،وغالبا ما يتخذ التعاون طابعين: طابع إرادي يعبر عن إرادة الأطراف والشعوب في المساعدة والعمل معا، وتعاون إكراهي عن طريق إجبار الدولة أو الدول على التعاون في مجال معين دونما توافر إرادتها. ومثال ذلك ما كانت تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية في العديد من المناطق إبان الحرب الباردة سواءا أكان ذلك في شكل أحلاف عسكرية (حلف الشمال الأطلسي)، أو تعاون اقتصادي مع الدول الآسيوية، لذلك أصبح التعاون ذو دلالات كبيرة في ميدان العلاقات الدولية، وخاصة بعد فترة الحرب الباردة. أين برز هذا العامل كمتغير مفسر لما يحدث في الساحة الدولية ويعرفه **جون توسكوز** (Jean Touscoz) بأنه شراكة يضع من خلالها الفاعلون الدوليون وسائل مشتركة لتحقيق غايات معينة" ويعني أيضا:" الارتباط والتنسيق في الميادين الاقتصادية وقد يشمل مفهوما أوسع،[51] كأن يتضمن التعاون في مجالات متعددة كالاقتصاد والسياسة والأمن والثقافة.

3.1.5الشراكة: وهي خلق علاقة بين متعاملين أو أكثر من خلال الجمع بينهم لوجود مصالح مختلفة، حيث يساهم كل طرف بما لديه من إمكانات (مادية، بشرية، معنوية...)، وكل هذا من أجل تحقيق نتائج

تعود في النهاية بالمنفعة على جميع الأطراف، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الكثير من الدول النامية سارعت للدخول في مبادرات شراكة مع دول متطورة، خاصة بعد فترة الحرب الباردة وبروز العامل الاقتصادي بقوة، ضف إلى ذلك بروز التكتلات الدولية والإقليمية، وكل هذا من أجل استقطاب الاستثمارات التي تمكنها من تحسين دورها الاقتصادي والتخفيف من مشاكلها الناجمة عن المديونية والتخلف، كما أن الدول المتقدمة قبلت بهذا النوع من الشراكة من أجل استغلال ثروات وخيرات هذه الدول، ضف إلى ذلك استثمار رؤوس الأموال الضخمة في مناطق أقل ما تعتبر أنها (دول استهلاكية)، كما أنها تهدف أيضا إلى تنفيذ سياسات الأطراف لتحقيق درجة ملائمة تسمح بالدخول في التكامل والاستغلال المشترك للإمكانيات والموارد المتاحة، وتحقيق المصالح المشتركة.

4.1.5الإندماج: يعني قدرة أي مجموعة كانت أن تؤكد عزمها حول تقليص كل الفوارق والاختلافات، وتوحيد جهودها من أجل تجسيد الصالح العام على مستوى عالي ومتقدم من التلاحم بين الدول المكونة، لتشكيل جهاز مركزي واحد تسلم له السيادة المطلقة لتكوين شخصية معنوية جديدة.[52]، كما يعني الاندماج الإقليمي تلك الإجراءات لإعادة الهيكلة السياسية والاقتصادية والقانونية للنظام العام، وبموجبه تنحصر إرادات الدول في إرادة واحدة.

تشكل هذه المقاربات العملية التكاملية في حد ذاتها، فالتشاور والتنسيق بين الدول والوحدات الدولية يؤدي إلى توافق في الآراء وأعمال مشتركة، وهذا بدوره يؤدي إلى فتح فرص للتعاون وبخاصة في المجالات الاقتصادية، وبعد تكوين الأطراف لثقة متبادلة تتطور الأمور لتصبح شراكة في شتى المجالات (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية...)، الأمر الذي قد يشجع هذه الدول إلى تبني مشروع تكاملي أعلى من الشراكة، وصولا في الأخير إلى توحيد كل القطاعات والمجالات، وتفويض وصهر الإرادات في شكل إرادة واحدة وتشكيل كيان موحد فوق وطني وصولا إلى ما يعرف بالاندماج.

تسعى فكرة حوار الحضارات لإيجاد بيئة دولية سليمة ومستقرة تقوم على أساس الاحترام المتبادل بين الثقافات والحضارات المختلفة وعدم ازدراء الأخر والحط من شأنه .

تقر بالاعتراف بوجود تباينات واختلافات فيما بين الحضارات والثقافات وهو ما يعكس حقيقة خصوصية ظروف وتطور كل حضارة، مع الإقرار بأن كل حضارة تحمل في داخلها أنساقا حضارية وثقافية مختلفة تتباين فيما بينها مع تأكيد ضرورة الاتفاق على قدر من الحد الأدنى المشترك من القيم والسلوكيات التي تشترك فيها مختلف الحضارات والثقافات والتي يجب التمسك بها والالتفاف حولها ومحاولة تعظيمها دون تضحية بتمايز كل حضارة أو ثقافة أو بالأولوية التي يجب أن تحضا بها قيم الحرية والعدل والمساواة.

تدعو للعمل على تجسيد مبادئ حقوق الإنسان في العالم وذلك لأنه وفي كثير من الدول لم يحصل الإنسان على أدنى حقوقه الطبيعية، وحوار الحضارات ينزع إلى تبني هذا الاتجاه، وإلزام كافة الأطراف المتحاورة بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان .

ترتكز على التعاون للتخفيف من حدة العدوان ضد الآخر لأن الحوار الحضاري بين الأمم والدول هو حوار تعاوني، يعمل على استئصال العدوان ويخفف من حدة الكراهية، العنف والحقد...التي رسخت في النفوس وهي من مورثات الماضي، لذا فإن حوار الحضارات يعمل على التخفيف من حدة النتائج السيئة.[53]

6.حوار الحضارات في الحوض المتوسطي:

إن الحقيقة التي يجب التسليم بها والتي تأكدت عبر العصور، على عكس ما جاء به هنتنجتون أن الحضارات بما فيها الغربية والإسلامية لا تتصادم فحسب بل تتمازج وتتحاور أيضا[54] وقد لاقت هذه النظرية عدة انتقادات من الأوساط الفكرية، أدت بصاحبها إلى التراجع عن بعض أفكاره في مقالاته اللاحقة ولعل أهم ما يمكن الرد به على هذه النظرية هو كون هنتنجتون يستشهد تأييدا لرأيه بما ذهب إليه "برنارد لويس" من أن الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في تصادم مستمر، ويزعم أن أهم عناصر هذا التصادم هو الطبيعة المناهضة للديمقراطية لدى الحضارة الإسلامية، فإن لويس نفسه يقول بمنتهى الوضوح أننا يمكن أن نستبصر في الشريعة الإسلامية عناصر من شأنها أن تعين على بناء الديمقراطية في شكل ما من أشكالها.[55]

إن التصادم بين الحضارتين الإسلامية والغربية في حوض المتوسط، قد وقع في بعض الأحيان على مدى ألف عام ولكن حتى في ذروة هذا التصادم بينهما كان التأثير والتمازج المتبادل وهذا يؤكد أن التنوع والتمايز والاختلاف الثقافي والحضاري، لا يعني بالضرورة الخلاف والتنافر لاسيما إذا تعلق الأمر بقضايا مصيرية مشتركة، وإذا صدقت النوايا فعلا في التعاون والحوار.

وعليه فمن اللاعدل أن تعتبر الحضارات غير الغربية، خاصة الحضارة الإسلامية خطرا يهدد الإنسانية، وأن ننسب إليها الإرهاب، ومن الخطأ الاعتقاد أن الإرهاب سلاح الضعفاء فقط بل هو كبقية الأسلحة الفتاكة سلاح الأقوياء أيضا، فنحن نعتقد أن الإرهاب سلاح الضعفاء فقط لأن الأقوياء يهيمنون أيضا على الأجهزة الأيديولوجية والثقافية التي تسمح لإرهابهم أن يعتبر شيئا آخر غير الإرهاب،[56] في حين وسائلهم أشد فتكا وإرهابا، وبالتالي فصدام الحضارات هي دعوة لاستعداد الطرف الآخر الذي هو أصلا من خلق الغرب، فخلق العدو هو نوع من الدفاع عن الذات واستمرارها.

ومع ذلك فإن بعض المثقفين مثل الأمريكي"جون إسبوزيتو" والفرنسي"فرانسوا يورغا" يدعوان إلى حوار الحضارات والديانات.

ونظرا لتعقد الحقيقة التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية للعالم الغربي والإسلامي، من الضفة الشمالية إلى الجنوبية للبحر المتوسط، فإنه يجب أن يتغلب المنطق على عقلية التبسيط وحوار الحضارات والديانات على المواجهة التصادم، إن عالم اليوم هو عالم متعدد الثقافات، والدفاع فيه عن القيم العالمية لا ينبغي أن يكون تحت احتكار أو حوار أحادي مفروضة أفكاره مسبقا، وفي هذا الإطار فإن المتوسط يجب أن يكون منطقة حوار إيجابي للحضارات والديانات ومنبعا التسامح والتفاهم والتعددية،[57] إذ

أننا لن نجد في مستقبل المتوسط أي مشروع يحظى بالحيوية دون أن تسبقه ذهنية التعارف الثقافي وتقدير الشريك باعتباره رفيقا يساهم في بناء العالمية الجديدة المستوحاة من حكمة الإيمان بالوحدة الإنسانية.

الخاتمة:

خلفت الشعوب والحضارات التي عاشت على ضفاف منطقة البحر المتوسط إرثا حضاريا، فنيا، علميا وأدبيا كبيرا مما شكل وسيلة ربط بين المعارف الإنسانية، وتقارب وجهات النظر وأفكار الشعوب في المنطقة (سياسيا، اقتصاديا، فنيا وثقافيا)، الأمر الذي أدى إلى إطلاق مفهوم موحد على كل التفاعلات ومحددا لحضارات المنطقة وهو مفهوم "حضارة البحر الأبيض المتوسط ".

وبالرغم مما نتج عن الحربين العالميتين الأولى والثانية من خسائر مادية وبشرية في المنطقة، ومن صراعات وخلافات سياسية بين الدول الأوروبية، إلا أن عالم ما بعد الحرب الباردة حتم على دولها تناسي كل الأحقاد والضغائن، وتوج ذلك بتشكيل قطب سياسي واقتصادي فرض نفسه في الساحة الدولية، مما يفسر تغليب منطق الحوار والتحالف المبني على المصالح المشتركة بدل الصراع والتصادم.

ومن هذا المنطلق توصلت الدراسة إلى أن هناك قناعة لدى شعوب المنطقة على ضرورة حماية الإرث الحضاري والتراث المتوسطي المميز، وخاصة أنه يجمع بين الديانات الثلاث (الإسلام، المسيحية، اليهودية) وهي ديانات سماوية، وجب احترامها وتقديرها، مما يقطع دابر الشك باليقين لتلك المزاعم القائلة باحتمال تصادم وتصارع الحضارات ُيدعم مقولة تعايش وتعارف الشعوب في المنطقة وكذا تفاعل وتدافع الثقافات والحضارات، مشكلة بذلك منطقة آمنة ومستقرة سياسيا وتعيش في رفاه اقتصادي وتنوع ثقافي وحضاري.

الهوامش:

[1] عبد النور بن عنتر، تطور مفهوم الأمن في العلاقات الدولية، مجلة السياسة الدولية،عدد160،مجلد40،أفريل2005،ص ص 58-59.

[2] حمد صفي الدين أبو العز، توازن القوى في منطقة البحر المتوسط،"المستقبل العربي"، عدد 7، ماي 1979، ص 9.

[3] مراد إبراهيم الدسوقي، القضايا الإستراتيجية والأمنية في البحر الأبيض المتوسط، السياسة الدولية، عدد118، 1994، ص18.

[4] محمد صابر عنتر، الأمن العربي والبحر الأبيض المتوسط،تحييد البحر الأبيض المتوسط، إضافة للأمن العربي، قضايا عربية، بغداد، عدد4، 1980، ص150. محمد أزهر سعيد السماك: الوزن الجيوبوليتيكي لبلدان البحر المتوسط الغربية ومستقبله، المستقبل العربي، عدد 162، أوت 1992، ص 25.

[5] أحمد كاتب، خلفيات الشراكة الأورومتوسطية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، فرع علاقات دولية، جامعة الجزائر، 2000-2001.،ص18.

[6]محمد أزهر سعيد السماك: الوزن الجيوبوليتيكي لبلدان البحر المتوسط الغربية ومستقبله، المستقبل العربي، عدد 162، أوت 1992، ص 25.

[*] حيث يتجه الفكر الاستراتيجي الغربي عامة والأمريكي خاصة القائم على أساس مكونات الصراع والقوة على ضرورة وجود النقيض، وبما أن العدو اختفى في فترة ما بعد الحرب الباردة، الأمر الذي جعل الإستراتيجية الأمريكية تفتقر إلى الرؤية اللازمة للتحرك الخارجي في ظل غياب (العدو)، وهو ما عبر عنه كسنجر بقوله: " إن هناك مشكلة عقلانية عميقة في السياسة الخارجية الأمريكية اليوم، فإن غياب تهديد منفرد وساحق مثل الإتحاد السوفيتي يجعل الولايات المتحدة تفتقد الإتجاه الذي تسلكه ". إذا بات وجود عدو عاملا ضروريا، ضف إلى ذلك أنه يمنح هذه الإستراتيجية تأييدا داخليا، يعطيها نوعا من الشرعية ويحررها من الضغوط التي تختفي بحكم وجود خطر خارجي وتظهر في حالة غيابه. أنظر: عماد مؤيد جاسم، توظيف فكرة العدو في الإستراتيجية الأمريكية، جامعة النهرين، 1999، ص 24.

[7] خالد المعيني، الصراع الدولي بعد الحرب الباردة، كيوان للنشر والتوزيع، 2009، ص40.

[8] صدر عام 1993 تقرير لوزارة الدفاع الأمريكية تضمن مراجعة كاملة للإستراتيجية العسكرية للتمكن من مواجهة ما أطلق عليه بعلاقات القوة بعد الحرب الباردة. لذلك حدد التقرير هدفا عاما يدور حول الإبقاء على القوات المسلحة الأمريكية مقارنة بغيرها (الأفضل تدريبا وتسليحا) لمواجهة المخاطر الإقليمية المهددة للمصالح الحيوية والإستراتيجية الأمريكية، وقد حدد التقرير نوعان من التهديدات، الأول: هو انتشار الأسلحة النووية والدمار الشامل في أيدي القوى الإقليمية، والثاني نابع من الحملات العدائية التي تكنها قوى تتعارض مصالحها معها. أنظر: أحمد فخر، وجهة نظر حول التدخل العسكري، أوراق الشرق الأوسط، عدد 13، 1994-1995، ص ص 74-75.

[9] خالد المعيني، مرجع سابق، ص 38.

[*] ظهرت هذه الصحوة الدينية جليا في الدول الشيوعية، حيث تدفق دعاة الإحياء الديني عليها من ألبانيا إلى فيتنام. وفي روسيا حدثت صحوة كبرى للأرثوذوكسية، وعام 1994 أعلن 30% من الروس تحت سن 25 تحولهم إلى الإيمان بالله، وزاد عدد الكنائس في موسكو من 50 سنة 1988 إلى 250 سنة 1993، ومع إحياء الأرثوذوكسية اجتاحت آسيا الوسطى صحوة إسلامية موازية، في سنة 1989 كان فيها 160 مسجدا ومدرسة إسلامية واحدة، وفي 1993 أصبح العدد عشرة آلاف مسجد و10 مدارس. أنظر هنتغتون، مرجع سابق، ص 109.

[10] محمود جبريل، مشروع أمريكي يرسم خريطة جديدة للشرق الأوسط، على الموقع: www.aljazeera.net.04، 02، 2004 p6

[11] إسماعيل صبري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، د ط، الكويت:جامعة الكويت، ج 1، 1990،ص 278.

[12] مصطفى بخوش، حوض البحر الأبيض المتوسط بعد نهاية الحرب الباردة دراسة في الرهانات والأهداف،ط1،دار الفجر للنشر والتوزيع،2006، ص 30.

[13]خالد المعيني، مرجع سابق، ص 27 .

[14]صبري مقلد، مرجع سابق، ص 287 .

[15]عمار بن سلطان، مداخل نظرية لتحليل العلاقات الدولية، الجزائر: طاكسيج للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص 322.

[16]صامويل هنتغتونغ، مرجع سابق، ص 61.

[17] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1993، ص 9.

[18] المرجع نفسه، ص ص 142-148.

[19] شوقي جلال، العقل الأمريكي يفكر من الحرية الفردية إلى مسخ الكائنات، القاهرة: سينا للنشر، 1997، ص11 .

[20] حسن بكر، "مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما، نهاية التاريخ– إيديولوجية الرجل الأخير"، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، عدد 1993، ص ص 263–268.

[21] نعمان عبد الرزاق السامرائي، قراءة في النظام العالمي الجديد، ط1، لندن: دار الحكمة، 2002، ص 43.

[22] تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، ط1، دار الساقي، 1999، ص 104.

[23] المرجع نفسه، ص ص 104–105.

[24] خالد المعيني، مرجع سابق، ص51.

[25] عماد مؤيد جاسم، مرجع سابق، ص 48.

[26] لطيف عبد الله كريمة، المعارضة الفكرية لنظرية صدام الحضارات، مجلة جامعة ذي قار،عدد1، مارس 2019،ص185.

[27] صامويل هنتغتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ت:طلعت الشايب، مصر:دار الكتب المصرية،1997، ص 15.

[28] المرجع نفسه، ص 26.

[29] المرجع نفسه، ص 21.

[30] عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات،ط1،مصر:دار الكلمة للنشر والتوزيع،2003، ص17.

[31] لمرجع نفسه، ص 18.

[32] المرجع نفسه، ص ص 17–18.

[33] صامويل هنتغتون، مرجع سابق، ص 344.

[34] محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام...والغرب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995، ص136.

[35] المرجع نفسه، ص 104.

[36] علي عبد المنعم، الإسلام وحدائق الشيطان، القاهرة: دار المعارف، 1999، ص 105.

[37] عابد الجابري، مرجع سابق، ص99.

[38] بخوش مصطفى، مرجع سابق، ص ص 30–31.

[39] عبد القادر طاش، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط 2،القاهرة: دار السلام للإعلام العربي 1993، ص67.

[40] ادموند غريب، الإعلام الأمريكي والعرب، المستقبل العربي، ص 260،أكتوبر 2000،ص 67 .

[41] حسن نيازي الصيفي، الإعلام الغربي وصورة الإسلام والمسلمين،ط1،القاهرة،إتراك للطباعة والنشر،2011، ص 75.

[42] لطيفة إبراهيم خضر، الإسلام في الفكر الغربي، ط 1، القاهرة: عالم الكتب، 2002، ص ص 80–81

[43] مصطفى محمود، الإسلام في خندق، القاهرة: كتاب أخبار اليوم، 1994، ص ص 121–122.

[44] لطيفة إبراهيم خضر، مرجع سابق، ص ص 89– 90

[45] بخوش مصطفى، واقع الصراع الدولي في ضوء استبصارات نظرية صدام الحضارات، الجزائر: دار ميم للنشر، 2021، ص10.

[46] زغوني رابح، الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبا مقاربة سوسيوثقافية، مجلة المستقبل العربي، عدد 421،2014، ص 122.

[47] لعرباوي نصير، صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 22، سنة 2016، ص 263.

[48] المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات، واقع اليمين المتطرف في أوروبا، 24 أفريل 2020، على الموقع:https://www.europarabct.com ، تاريخ الزيارة: 1-07- 2021.

[49] علوي مصطفى، عوامل صعود اليمين المتطرف في أوروبا، مجلة السياسة الدولية، عدد 208،أفريل 2017،ص 86.

[50] حسن نيازي الصيفي، مرجع سابق، ص 76.
[51]حسين عمر، التكامل الاقتصادي أنشودة العالم المعاصر، ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998، ص08.
[52]صلاح عباس، التكتلات الاقتصادية، الإسكندرية: مؤسسة الشباب الجامعية، 2006، ص82.
[53] جاهد بن حامد، سياسة الحوار...بين أتباع الاديان والثقافات، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر،جدة،2010،ص ص 53-54
[54] سيد صادق حقيقبت، حوار الحضارات وصدامها، ترجمة: علي الموسوي، ط1، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص 69.
[55] أركيه رامازاني، الشراكة الأورومتوسطية دط، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، د س ن، ص 29.
[56] نعوم شومسكي، الإرهاب سلاح الأقوياء، الشروق اليومي، جريدة جزائرية، عدد 374، 2001، ص 07 .
[57] عبد الحميد الإبراهيمي، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، ط1،بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،1996، ص 404 .